الشعر والإنشاد

الدكتور جميل سعيد

الشعر والنغم :

تحدث علماء العرب عن الشعر ، ورأوا ان اهم ما يميزه عن النثر موسيقاه أو نغمه . وعرّفه قدامه [1] : بأنه « قول موزون مقفى يدل على معنى » وشاركه في هذا التعريف غيره [2] . واذا نظرنا الى القيد الأخير الذي وضعه قدامة في تعريفه ، وهو اشتراطه أن يدل على معنى ، رأيناه يوحي الينا بخوفه ان يتوهم متوهم ان الشعر إنما هو القول الموزون المقفى ، وإن لم يدل على معنى . ويرينا هذا ان الوزن أبرز خصائص الشعر وأوضحها ثم يأتي بعده المعنى . ومن هنا قال ابن رشيق في عمدته [3] : « الوزن أعظم اركان الشعر ، وأولاها به خصوصية » وهكذا نراه جعل للوزن المكان الأول . والذين رأوا ان النثر لايعدم النغم ، وان الموسيقى التي تلحظ في ارتفاع صوت المتكلم او القاريء تارة وانخفاضه اخرى ، وبوقفاته التي تطول حيناً وتقصر حيناً ، ثم في انتهاء فقراته ـ في بعض الأحيان ـ بما يحدث جرساً خاصاً يشبه نغم الشعر او قوافيه ... الذين لحظوا هذا لم يستطيعوا ان

---

(١) انظر : نقد الشعر لقدامة . ص ١١ .

(٢) انظر ص ٢٢٩ من كتاب الصاحبي في فقه اللغة .

(٣) العمدة ١/١٣٤ .

ينكروا ان موسيقى النثر هذه لا تسير على نمط معين ، ولا يشترط الالتزام بها على نحو خاص كما هو الشأن في الشعر . ثم هي ـ بعد ذلك ـ غير واضحة فيه وضوحها في الشعر . وهكذا تراهم ذهبوا الى ان النغم او الوزن الشعري هو اهم ما يميز الشعر . وكأن أبا العتاهية الشاعر الزاهد نظر الى هذا النغم ، او هذا الوزن يجري في كلام الناس سليقة وبغير ارادة منهم ، فتوهم ان اكثر الناس يتكلمون بالشـــعر وهم لايعلمون [1] وقال : « ولو احسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم » . رووا أنه رأى ـ وهو في جماعة ـ رجلا يقول لآخر عليه مسح [2] :

يا صاحب المسح تبيع المسحا . فقال ابو العتاهية : هذا من ذلك الم تسمعوه يقول :

« يا صاحب المسح تبيع المسحا »

قد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال الرجل : « تعال ان كنت تريد الربح » فقال أبو العتاهية : وقد اجاز المصراع بمصراع آخر وهو لايعلم ، قال له :

« تعال ان كنت تريد الربحا » [3]

ونظرة ابي العتاهية هذه الى الشعر بأنه وزن ، او كلام موزون جعلته يقول : «لوشئت ان اجعل كلامي كله شعراً لفعلت ... » [4] . ويظهر انه تعلق بهذا وجعل له الأهمية الأولى.

ونحن ـ وان كنـا لانذهب مذهب أبي العتاهية في هذا ، ولا نقرّه عليه ، نراه في حديثه هذا يجسم لنا الشعر في اخص خصائصه ، وهو النغم . ومعلوم ان نغم الشعر لايتضح ولا يبرز إلا بإنشاده . ومن هنا نستطيع ان نرى اهمية الانشاد ، وشدة التصاقه بالشعر .

ولعلنا نعذر أبا العتاهية ، ومن ذهب مذهبه في الشعر اذا عرفنا ما ذهب اليـه بعض المحدثين في الشعر . إذ رأوا انه نشأ من صيحات منغّمه كانت قبل ان تُخترع الالفاظ وأن

(١) الاغاني طبعة دار الكتب (د . ك) ص ٤/٣٩ .
(٢) المسح : كساء من شعر كثوب الرهبان .
(٣) الاغاني د ك ٤/٣٩ .
(٤) الاغاني د ك ٤/١٣٠

تكون دالة على معانيها . قالوا : « ان الشعر لغة الوجدان . وإن الانسان شعر بوجدانه قبل ان يفكر بعقله . والهمجي الذي عاش قبل التاريخ عارياً يتسلق اشجار الغابات ، يقفز من غصن الى غصن صائحاً : « را را را .. بو بو بو .. » قالوا : « هذا الانسان هو الواضع الاول لأساس الشعر المنظوم ... » وقالوا : « ومن هذه الصيحات الاولى صيغت انغام الأناشيد . وكانت هذه قبل ان يتقدم الانسان ويبتكر الفاظ اللغة يعبّر بها عن افكاره . وحين جاء طور الألفاظ المعبرة عن معان كانت قوالب الشعر وأوزانه قد اعدت ، فانصبت بها الألفاظ المعبرة ، فكان هذا الشعر المنظوم المفهوم المعبر عن معنى ـ بعد أن كان انغاماً أو صيحات يعبر بها الانسان عن انفعاله حين يمرح في رقص ، او يهتف في غضب ، أو يتحمس في شجار وخصومة وعراك ، أو يناغم بها وقع المجاذيف في الماء ، ووقع اقدام الابل حين يسير معها في الصحراء »[1] وهؤلاء الذين يذهبون هذا المذهب في نشأة الشعر وانه من نغم او لحن لا معنى له يجدون سندهم فيما يذهب اليه علماء اللغة الذين يرون ان ادراك الطفل لنغم الكلام وموسيقاه يكون سابقاً لإدراكه لمعانيه في الفاظه المفردة . ان الطفل يسمع الأصوات المختلفة فى صغره . وينشأ وهو يستطيع التمييز بينها قبل ان يستطيع التمييز بين معانيها ومصادرها . وقد يسمع ، وهو صغير ، الانشودة تتكرر على سمعه ، فيحفظها ويرددها عن ظهر قلب من غير ان يفقه لها معنى . ويعللون ولع الاطفال بالأناشيد يرددونها من غير ان يفقهوا معانيها ، الى ان الطفل جزء من نظام الكون العام الذي تبدو كل مظاهره الطبيعية منسجمة . ولا غرابة في ان يميل الطفل الى ما هو منسجم من الكلام ، منتظم في مقاطع منغّمة متكررة . وهو يميل الى التكرار في حركاته ونشاطه العضلي . إنه في مهده أو ارجوحته يحرك يديه ورجليه ، أو يهز رأسه . وهو يفعل هذا ويستلذه ويكرره في هزات متقطعة منتظمة[2] ...

وذهب بعضهم الى ان الشعر انفعال نفسي ينفس به المرء عن نفسه ، شأن البكاء ينفس

(١) قصة الادب في العالم ١/١١ للاستاذين : احمد امين وزكي نجيب محمود .

(٢) موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم انيس ص ٢ .

به عن احزانه ، وشأن الضحك يعبر به عن فرحه وسروره . وهو حين يطلق هـذا الشعر او حين ينطلق به لايهمه من يسمعه منه او من يستمع اليه . ولعل الأوائل من العرب جنحوا الى هذا حين عزوا اول قطع الشعر الى آدم ، وقالوا إنه قالها يرثي ابنه هابيل [1] .

على ان هناك رأياً آخر في نشأة الشعر يصـوره لاينشأ إلا مع الإنشاد ولا يفيض من نفس صاحبه الا منشدا بين مستمعيه . وعلى هذا فالشاعر البدائي لاينطق بشعره وحيداً ، وانما يتعاون مع صحبه الذين يستمعون اليه . انه لايستطيع ان ينطق بالشعر إلا بين الجماعة المستمعين ..

وطبيعي ان قائله ما كان يـكتبه ـ على نحو ما يصنع الشعراء اليوم ـ ولكنه يرتجله وينشده .. ويتزايد فيض الشعر على لسـانه كلما ازداد جمهوره اصغاءً اليه ، وذهولا واستمتاعاً بشعره ، وتشجيعاً له على الاسـتزادة في الانشاد . وقد يصل الجمهور الى حالة انفعال تحكي حالة الشاعر المنشد . نعم، ان جمهور المستمعين في ايامنـا هذه يستطيعون أن يسيطروا على مشاعرهم وان يكبتوا انفعالهم ويستمعوا هادئين، ولا كذلك جمهور البدائيين حين يستمعون. انهم يطلقون لمشاعرهم العنان ويعاونون شاعرهم ومنشدهم على الاستزادة[2].

وننظر في اشعار الامم كلها فنراها مقطعـة على نحو يناسب الانشـاد . فالمنشد للشعر العربي مثلا ـ يحتاج لأن يستعيد النفس بعد كل بيت من أبيات بحوره الطويلة ، وهذا هو السر في ان اوزان البحور الشعرية عند الأمم عامة لا تزيد على مقدار معين من المقاطع، ذلك المقدار الذي يظل النفس او الصوت مطاوعاً به لمنشده .

وللشعر — كما للموسيقى — الحان خاصـة في انشاده تختلف باختـلاف الامم . ان

(١) قالوا : « رثاه بقوله :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغـير كل ذى طعم وريح وقل بشاشة الوجه الصبيح
فما لي لا أجود بسكب دمع وهابيل تضمنـه الضريح »

المسعودى ١/٦٥ ، والطبرى ١/١٤٦ .

(٢) انظر حديث تومسون عن اهالي ارلندا في كتاب « الماركسية والشعر » ص ٣٩ .

الايطاليين مثلا ينشدون الشعر اللاتيني القديم بغير الطريقة التي ينشدها بها الألمان او الانكليز، وإذ يلاحظ في انشاد الايطاليين ميـل الى حفظ الضغط على الأصوات ، يلاحظ الميل الى الاعتماد على المقاطع عند غيرهم [١] . وقد سبق اليونان والرومان غيرهم في استنباط قواعد الإنشاد . على ان قواعدهم هذه ما زالت موضع شك عند الباحثين المحدثين بسبب اختفاء لغتيهما في الحديث واختفاء قواعد الانشاد عندها . ولا كذلك الأمر عند العرب . يقول الأب اغسطس فكيني الفرنسيسي : « للشعر العربي إيقاع كلاسيكي تام . وهو محكم الوزن دقيق التحديد والتعيين . وهذه حقيقـة لا تحتمل الشك . بيد ان المنشدين لا يتسرون لنا — في الغالب — ظرف سماع ذلك الايقاع وتذوّقه» [٢] . ويقول البستاني [٣] : « .. واما العرب فلم يكن في امة من امم الارض شأن للانشاد ارفع منه عندهم » .

والذين يبحثون في اولية الشعر العربي يربطون بين نشأته وبين سير الابل وحدائها [٤] ويرى بعضهم ان الانشاد والحداء شيء واحد . يرى ابو الفرج وهو يتحدث عن اولية الغناء عند العرب انه كان النصب والحُداء . ثم يقول : « وذلك جار مجرى الانشاد » [٥] وربما هذه الصلة التي بينهما قالوا : حدا به اذا عمل فيـه شعراً [٦] . فكأن الشعر عندهم لا يتصور إلا منشداً بصورة الحُداء . يقول المرار الأسدي :

ولو اني حدوت به ارفأنت

نعامته وأبصر ما يقول

وتحدثوا عن الإنشاد وأثره في الناس، كما تحدثوا عن الحداء واثره في الإبل . ورأوا ان

---

(١) فن انشاد الشعر العربي ترجمة الاستاذين : الأب اسطيفان سالم الفرنسيسي والدكتور اسحق موسى الحسيني ص ٥ .

(٢) فن انشاد الشعر العربي ص ١٥ .

(٣) مقدم الاياذة ص ٣٩ .

(٤) تاريخ الادب العربي لجورجي زيدان ٦٣/١ .

(٥) الاغاني ٣٥٠/٩ .

(٦) العمدة لابن رشيق ٣١٣/٢ .

الجمل يستخفه الحداء حتى يرى احماله الثقيلة خفيفةً . ويبعث فيه الحداء من النشاط ما يُسكره ويوآنه . وأن الجمال تستمع الى صوت الحادي ـ وقد اعتراها الكلال وثقلت عليها احمالها ـ فتخف في سيرها وتسرع حتى تزعزع عليها احمالها ، وربما اتلفت انفسها من شدة السير وثقل الحمل ، وهي لاتشعر بهذا لفرط ما يعتريها من الحداء . وهم يقصون القصص في هذا [1] .

ويحدثون عن الإنشاد انه ينسي بعضهم نفسه ويستخفه ، على نحو ما يستخف الحداء الجمال . رووا عن عمرو بن هند ـ وكان ملكاً ـ انه استمع الى الحارث بن حلّزة اليشكري، وهو ينشد قصيدته :

« آذنتنا ببينها اسماء »

رووا قول ابن الكلبي [2] : « انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضح.. فامر ان يجعل بينه وبينه ستر . وفي رواية سبعة حجب [3] فلم يزل عمرو يقول : ادنوه ! حتى امر بطرح الستر واقعده قريباً منه ».

وظل للإنشاد مقامه في الجاهلية ثم في الاسلام . وما أكثر ما يحدثنا به الرواة عن عكاظ وعن المربد وعن انشاد الشعر فيهما وفي غيرهما . ويبدو ان الشعراء كانوا يتخيرون جيد الشعر ينشدونه في هذه الاسواق حين يجتمع الناس فيها لمتاجرة أو لمفاخرة ، أو لتسلية. وسنشير الى هذا في حديثنا .

الإنشاد والغناء :

والانشاد وثيق الصلة بالغناء . وفي المعاجم العربية نجد لفظة الغناء تطلق على قول الشعر ولا نشك في انهم كانوا لايتصورون الشعر إلا منشداً . قالوا : « غنى بالمرأة : ذكرها بشعره

(١) انظر « إحياء علوم الدين » للغزالي ١/٢٧٥ .
(٢) الاغاني ١١/٤٣ .
(٣) العمدة ١/٤٤ .

متغزلاً . وغنّى بفلان : مدحه او هجاه[1] . وفي الاغاني انّ عمر بن الخطاب بعد أن اطلق الحطيئة من السجن ـ وكان قد حبسه وهم بقطع لسانه ـ قال له : « ياحطيئة كأني بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرقة ـ والنمرقة : الوسادة ـ وكسر لك أخرى وقال : غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس » . قال ابن اسلم : فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبد الله بن عمر قد بسط له نمرقة وكسر له اخرى وقال : غننا ياحطيئة ، فجعل يغنيه »[2] وما نشك ان الحطيئة كان ينشد وان الانشاد هنا هو الغناء[3] . ويقول ذو الرمة[4] :

احب المكان القفر من اجل انني ... به اتغنى باسمها غير معجم

ويبدو ان صلة الانشاد بالغناء وتعلق الناس به هذا التعلق ، هو الذي دعا فريقاً من اهل الورع الى التحرج منه . قال الأصمعي : « قيل لسعيد بن المسيب : ها هنا نساك يعيبون انشاد الشعر ! قال : نسكوا نسكاً أعجمياً »[5] وربما كان السبب الذي زهّد هؤلاء في انشاد الشعر انهم نظروا الى ان الثلاثة : الموسيقى والغناء والشعر لا نكاد نجدهم الا متلائمين مجتمعين . يقول فارمر : « كانت الموسيقى عند العرب ـ معروفة باللفظ العام وهو الغناء ومعناه الاول الانشاد »[6] ويرى ابو الفرج ان الغناء والانشاد كانا كالشيء الواحد في زمن الخليفة عمر بن الخطاب . يقول : « إن الغناء العربي لم يعرف في زمانه ، ـ زمن الخليفة عمر ـ الا ما كانت العرب تستعمله من النصب والحداء ، وذلك جار مجرى الانشاد ، الا انه يقع بتطريب وترجيع يسير ، ورفع الصوت »[7] . وظلّت صلة الغناء بالشعر قائمة ، وظلت الحان الغناء مرتبطة ببحور الشعر ؛ حتى لقد جعلوا لكل غناء او لحن وزناً خاصاً به ، فالنصب غناء

(١) القاموس المحيط .
(٢) الاغاني ١٨٩/٢ .
(٣) انظر الاغاني ٣٩٨/٢ ايضاً .
(٤) العمدة ٣١٣/٢ .
(٥) البيان والتبيين للجاحظ ٢٠٢/١ .
(٦) الموسيقى العربية لفارمر ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٦٦ .
(٧) الاغاني ٢٥٠/٩ .

الركبان يخرج من أصل الطويل في العروض ، والهزج من الهزج وهكذا ...

ولترى وضوح هذه الصلة وتدرجها ، نورد ما أورده الغزالي في احياء علوم الدين [1] قال : « قال ابن مجاهد لابن داود : ... اي شيء تقول يا أبا بكر في من انشد بيت شعر ، أهو حرام ؟؟ فقال ابن داود : لا . قال : فإن كان حسن الصوت حُرّم عليه انشاده ؟؟ قال : لا . قال : فإن انشده وطوّله وقصر منه الممدود ومدّ منه المقصور ، أيحرم عليه ؟ قال : انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين ؟؟ » .

وصلة الانشاد بالغناء والموسيقى صلة عامة نلحظها عند الامم عامة . كان اليونان ينشدون اشعارهم على نغم القيثار ، وكان الألمان يسلكون مسلك اليونان في هذا ، وكان الفرنسيون ينشد منشدهم على نغم شبابة عربية ذات ثلاثة اوتار ، واذا اتعبه الانشاد ظل ينغم حيناً بشبابته بلا انشاد [2] . والعرب نجد بينهم المنشدين المغنين ، امثال اسحق الموصلي ، وجحظه البرمكي . ولسنا نذهب الى ان الشاعر يجب ان يكون مغنياً أو منشداً ، ولا إلى ان المغني او المنشد يجب ان يكون شاعراً ، وذلك لأن لكل منهما ملكة خاصة ، وقد يوهب المرء احداهما ويحرم الاخرى . وفي هذه الحالة قد يتصاحب الشاعر والمنشد ، والشاعر والمغني ، لان كلا منهما يشعر ان صاحبه متم لما فيه من نقص او عجز ، وسنشير الى هذا في حديثنا عن المنشدين .

نقول : هذه المصاحبة ، وهذه الصلة بين الغناء والشعر جعلت المتحدثين عنهما ـ من الناحية الدينية ، والناحية الفنية احياناً ـ لا يستطيعون ان ينفردوا بالحديث عن احدهما دون أن يلحقوا به الآخر . يتحدث الامام الغزالي في باب السماع عن الغناء ، فيفيض بالحديث عن الشعر ، وعن روايته . ويتحدث الجرجاني عبد القاهر في كتابه « دلائل الاعجاز [3] » مدافعاً عن الشعر فلا يرى بداً من أن يرد على من زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغني به في الشعر .

(١) الغزالي ، أحياء علوم الدين ٢/٢٢٠ .

(٢) مقدمة البستاني للالياذة ص : ٣٨ .

(٣) دلائل الاعجاز ص : ٢٠ .

ولهذه الصلة الوثيقة بين الغناء والشعر ، صار المتحدثون اذا تحدثوا عن الشاعر قرنوه بالمغني ؛ فابن رشيق يفاضل بينهما ويتعصب للشاعر في المفاضلة ، وكأنه يرد على من زعم ان انشاد الشاعر واقفاً وغناء المغني قاعداً يحط من قدر الشاعر ويرفع من شأن المغني ، فيقول : « فأما قيامه وجلوس صاحب اللحون فلأن هـذا متشوف اليه يحب اسماع من بحضرته اجمعين بغير آلة ولا معين ، ولا يمكنه ذلك الا قائماً أو مشرفاً ، وليدل على نفسه ويعلم انه المتكلم دون غيره » [1] .

واذا رأينا الشعر والانشاد والغناء يكونون كالشيء الواحد ، فلا نعجب ان نرى الشاعر والمنشد والمغني يكون واحدا ايضاً . ويبدو لنا ان هذه الحرف الثلاث ، او هذه الفنون الثلاث كانت فناً واحداً في اصلها ونشأتها ، ثم صارت تتفرق عن بعضها وتتمايز ، شأنها شأن بعض الحرف والفنون التي كانت مجتمعة ثم تفرقت ، ولكن اصحابها ظلوا يشعرون انهم مترابطون متكاملون ، لا تكمل لاحدهم حرفته الا بمعونة صاحبه . وفي تأريخ الشعر العربي نجد الكثير ممن تجمعت فيهم هذه الفنون الثلاثة . قالوا عن الاعشى ميمون بن قيس ـ الذي كان يسمى صناجة العرب ـ انه كان يغني اشعاره [2] . وقالوا مثل هذا عن الخنساء [3] . وجحظة كان شاعراً مغنياً معروفاً . ويقول أبو الفرج عن حنين : كان شاعراً مغنياً فخلا من فحول المغنين [4] . وكان الدّارمي شاعراً مغنياً ثم نسك وترك الغناء وقول الشعر [5] وكان ابو النّضير من شعراء البصريين ، وكان يغني بالبصرة ، وكان صديقاً لابان اللاحقي ثم تصارما وتهاجيا . وقد جن بالغناء جنوناً ، وفيه يقول ، اسحق شيخ المغنين والشعراء [6] :

(١) العمدة ص ١

(٢) فارس ص ٢٩ .

(٣) فارس ص ٣٠ والاغاني ١٣/١٤٠ .

(٤) الاغاني ٢/٣٤٠ .

(٥) الاغاني ٣/٤٦ .

(٦) الاغاني ١١/٢٨٨ .

سكتُّ عن الغناء فلا أماري بصيراً ، لا ولا غيرَ البصير

مخافةَ ان أُجنّنَ فيه نفسي كما قد جُنّ فيه ابو النضير

وكان ابراهيم بن المهدي شاعراً مغنياً ، وكذلك كانت اخته عليّه . ولسنا نود ان نكثر من تعداد هؤلاء الشعراء المغنين .. نقول كان المغني والشاعر شخصاً واحداً حتى اذا استقلّ كل منهما بصنعته ظل المستقل منهما يشعر بحاجته الوثيقة الى صاحبه . وقد يتلازمان . كان اعشى همدان شاعراً معروفاً وكان احمد النصبي مغنياً مشهوراً ، وكان اعشى همدان مواخياً ومواصلا له واكثر غنائه فى اشعاره [1] . ولما خرج اعشى همدان مع الثائرين مع ابن الأشعث على الحجاج خرج احمد النصبى المغني معه لالفته اياه ، فجعل الاعشى يقول الشعر فى ابن الأشعث يمدحه واحمد يغنيه [2]. وصحب الشعراء المغنين ، ولا عجب فالغناء مضمار الشعر [3] ، قال الشاعر :

تغن بالشعر إمّا كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وقد احس الشعراء ان شعرهم يكتسب سحراً وتأثيراً جديداً حين يغنّى به . قال الاصمعي : قلت لبعض الأعراب : انشدني شيئاً من شعرك . قال : « كنت اقول الشعر وتركته » . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : « لاني قلت شعراً وغنى فيه حكم الوادي وسمعته فكاد يذهل عقلي، فآليت الا اقول شعرا » [4]. ويحدثون عن جرير انه قدم المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم ، وفيهم اشعب ، وحادثوه ساعة وخرجوا وبقي اشعب . فقال جرير : اراك قبيح الوجه لئيم الحسب ، ففيم قعودك وقد خرج الناس ؟ فقال له اشعب : إنه لم يدخل عليك احد هو انفع لك مني . قال : وكيف ! ؟ قال : لاني آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي ... وغناه بشعره :

« يا اخت ناجية السلام عليكم »

(١) الاغاني ٦٩/٦ .
(٢) الاغاني ٤٦/٦ .
(٣) العمدة ٣١٣/٢ .
(٤) الاغاني ٣٨١/١١ .

فاستخف جريراً الطرب لغنائه بشعره حتى زحف اليه واعتنقه. [1] وقالوا عن كثير إنه كان يطرب ويرتاح اذا سمع المغني سعيداً الرأس يغني بشعره [2] :

هلا سألت معالم الاطلال بالجزع من حرض وهنّ بوالي؟
سقيا لعزة خلّتي سقياً لها اذ نحن بالهضبات من املال
اذ لا تكلّمنا ، وكان كلامها نفلاً نؤمّله من الأنفال

ويحدثون الاحاديث الكثيرة عن الشعراء يغنون باشعارهم فيحدث لهم من الهياج والاثارة ما لا يستطيعون ان يملكوا معه نفوسهم . يحدثنا ابو الفرج ان عمر بن ابي ربيعة كان يشق ثيابه لفرط هياجه ساعة يسمع جميلة المغنية تغنيه بشعره ، وكان يعتذر ان يقع هذا منه اذا سكن الى نفسه . ونرى من حرص الشعراء على هذا واشتياقهم اليه انهم يجعلونه امنيتهم التي يتمنونها . قال جحظة : حدثنا حماد بن اسحق عن ابيه قال : « قيل لابي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فقال : اشتهي ان يجيء مخارق فيضع فمه على اذني ثم يغنيني [3] :

سيعرض عن ذكري وتنسى مودّتي ويحدث بعدي للخليل خليل
اذا ما انقضت عني من الدهر ليلة فإن غناء الباكيات قليل !

وشهوة ابي العتاهية هذه هي امنية اعشى بني سليم ! إنه يحب ان يسمع المغنّي دحمان قبل ان يموت . واليه يقول :

فابلغوه عن الاعشى مقالته اعشى سليم ابي عمرو سليمانا
قولوا : يقول ابو عمرو لصحبته ياليت دحمان قبل الموت غنّانا [4]

هذه ناحية ، وناحية اخرى هي ان الشعر والشاعر قد يكونان خاملين فيرفع الغناء من امرهما . يقول ابو الفرج [5] : « ابراهيم بن سيابه ... من مقاربي شعراء وقته ليست له

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٠٧ (٢) الاغاني ٣/٣١٥ .
(٣) الاغاني ٤/١٠٩ . (٤) الاغاني ٤/٣٢ . (٥) الاغاني ١٢/٨٨ .

نباهة ولا شعر شريف ، وانما كان يميل بمودته ومدحه الى ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق فغنيا في شعره ورفعا منه » .

يضاف الى هذا ان الشعر عند العرب ، اصبح ـ من قبيل الاسلام الى قبيل عهدنا هذا ـ حرفةً يحترفها الشعراء يتكسّبون بها ، وقد لايكون لبعضهم وسيلة للعيش غيرها ، وعلى هذا فالشاعر يهمه ان يغنى المغنى اهل الثراء من رجال الدولة بشعره ، وكثيراً ما يثار السؤال في مجلس الغناء عن الشعر والشاعر فيثاب الشاعر بجائزة عليه . يقول أبو الفرج في الحديث عن ابن سيّابه ايضاً : « ان ابراهيم الموصليّ وابنه اسحق .. كانا يذكرانه للخلفاء والوزراء ويذكّرانهم به اذا غنّيا في شعره فينفعانه بذلك [1] » . وينشد محمد الراوية المعروف بالبيدق، ينشد الرشيد عينيّة الشاعر النمري ، فيعجب بها الرشيد ،ويبعث للنمري سبعة آلاف دينار [2] .

هـذه الصحبة التى نراهـا بين الشعراء والمغنين نرى مثيلا لها بل اوثق منها بين الشعراء والمنشدين .

الشعراء والمنشدون :

ولئن كان الشعرقد استقلّ واستغنى عن ان يغنّى به فانه لم يستغن عمن يحسن انشاده ، وكيف والإنشاد يحمل معه الشطر الاكبر من سحره ؛ في انغامه او اوزانه وفي معانيه . ؟

لقد بينا اننا لا نستطيع ان نتصور الشعر ـ في بـداية نشأته على الأقل ـ إلا منشداً وذلك ان الـكتابة لم تكن قد عرفت بعد ، او لم تكن قد استعملت في تدوين القصائد ، وكان الشاعر ينشد اشعاره وسط جمهور يستمع اليه ، وقد ينشدها على آلة فعْل المغنّي ، فالشعر يجري على لسانه نشيداً مرتجلا متدفقاً .

ويتحدث الجرجاني ـ صاحب الوساطة ـ عن البحتري ، يطري صنعته الشعرية فيقول: « ثم تأمل كيف تجد نفسك عند انشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك

(١) الاغانى ١٢/٨٨ .

(٢) نفس المصدر ١٣/١٤٨ .

من الطرب اذا سمعته [1]». والشعر يكون اكثر تأثيراً في النفوس اذا احسن انشاده ، والى هذا يشير جرير [2] مهدداً في هجائه لبني طهية اذ يقول :

يا عقب يا ابن سنيع بعد قولكم إن الوثاب لكم عندي بمرصاد

اروا عليّ وارضوا بي صديقكم واستسمعوا يا بني ميثاء انشادي

والشعراء ـ في الغالب ـ يكونون منشدين بارعين . وينمي قابلية الانشاد فيهم انهم ينشدون جماهيرهم المستمعين المحبين لسماع الشعر ، ويزيد في هـذه القابلية عند الشعراء العرب خاصة انهم كانوا ينشدون الأمراء والولاة والخلفاء مجتمعين في شبه مباراة في الإنشاد . يجلس الخليفة او الوالي ويجتمع الشعراء في بابه يهنئون بولاية او عيد او حدث هام ، ثم يأذن لهم فيدخلون المجلس ينشدون بحضرة المستمعين ، ويثابون بمقدار تأثير شعرهم في نفسه .

وفي الاغاني ان المهدي جلس للشعراء يوماً ، فاذن لهم وفيهم بشار واشجع وابو العتاهية [3] .

وقد يسمو بعضهم لدرجة لا يرى لنفسه ان يدخل ضمن المتبارين [4] . وقد تمنح لبعضهم الجائزة بغير انشاد فيلح في ان ينشد اظهاراً لمحاسن شعره . دخل مسلم بن الوليد ، صريع الغواني ، على الفضل بن سهل ينشده شعره ، فقال له الفضل : ايها الكهل اني اجلّك عن الشعر فسل حاجتك ، فقال : بل تستتمّ اليد عندي بان تسمع .. ثم انشده [5] .

والشعراء ـ ولا سيما الجاهليون الذين وصلتنا اخبارهم ـ كانوا يحسنون الانشاد ، والكتب تحدثنا بالعجب عن جودة انشاد بعضهم ، كالذي مر من انشاد الحارث بن حلزة لعمرو بن هند [6] .

---

(١) الوساطة ص : ٢٢ (٢) ديوان جرير ص : ١٤١

(٣) الاغاني ٤/٣٤

(٤) انظر حديث الحسين بن الضحاك مع الواثق في الاغاني ٧/١٩٦

(٥) العمدة ١/٤٥ (٦) الاغاني ٤/٣٤

وكالذي نسمعه عن النابغة وحسان والاعشى والخنساء في انشادهم بسوق عكاظ [1] في الجاهلية وعن غيرهم في الاسلام ، ويمر جرير بسراقة البارقي الشاعر والناس مجتمعون على سراقة وهو ينشد ، فيعجبه ويستحسن نشيده ، فيقف متعجباً متسائلا [2] عنه . وينشد البحتري أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ، قصيدته :

أ أفاق صبٌ من هوى فأفيقا أو خان عهداً أو أطاع شفيقا

فيسر أبو سعيد ويستخفه الانشاد فيصيح : « أحسنت والله يا فتى وأجدت ! » . ويسمعه أبو تمام ـ وهو ينشد ـ فيهتز من قرنه الى قدمه ، استحساناً له [3] » . والشعراء المجيدون في انشادهم لا يرضون أن تصل قصائدهم الى مستمعيها إلا منشدة ، هـذا أبو الطيب المتنبي نقرأ ديوانه فلا نكاد نجد قصيدة فيه الا ويقال في مقدمتها : إنه أنشدها عام كذا ، ومناسبة كذا .

هؤلاء الشعراء المنشدون قد لايجدون حاجة الى منشد ، على ان بعض الشعراء كانوا لا يجدون بداً من الاستعانة براوية منشد . يقولون عن أبي تمام انه لم يكن يحسن الانشاد وانه امتدح ابا دلف فافتتح ينشد قصيدته المشهورة :

« على مثلها من اربع وملاعب »

وكانت فيه حبسة شديدة ، فصاح صائح من الحاضرين فوقف قالوا : « لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ! [4] » هذه الحالة وامثالها جعلته يلجأ الى منشد يصاحبه وينشد اشعاره ، يقول الصولي : « ... حدثني عن الرازي ، قال : شهدت ابا تمام وغلام له ينشد ابن ابي دواد [5] :

لقد انست مساوىء كل دهر محاسن احمـد بن ابي دواد

فما سافرت في الآفاق الا ومن جدواك راحلتي وزادي

ويقول الصولي أيضاً : انه امتدح المعتصم بسر من رأى بعد فتح عمورية ، فذكره ابن ابي دواد للمعتصم ، فقال له : أليس الذي انشدنا بالمصيصه ـ بلدة بالشام ـ الأجش الصوت !؟ قال : يا أمير المؤمنين إن معه راوية حسن النشيد ، فاذن له ، فأنشده راويته مدحه » .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص : ٣٨٠ . (٢) الاغاني طبعة السادس ١٨/١٧٠ .

(٣) الاغاني ١٨ / ١٧٠ طالساسي . (٤) العمدة ١/٢٢١ ط ٢ (٥) اخبار أبي تمام ص ١٤١ .

وحالة أبي تمام هذه رأى فيها الشعراء المناوئون له عيباً يغمزونه به : قال عبد الصمد ابن المعذل يعرض به ، وينسب هذا الى ابي العميثل والى مخلد بن بكار الموصلي ايضاً [1] :

يا نبي الله في الشعر وياعيسى بن مريم انت من احسن خلق الله مالم تتكلم

وتشبه حالة ابي تمام هذه حالة زياد الاعجم ، قالوا : كان جزل الشعر ، وكانت في لسانه عجمة فلقب بالاعجم ، لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف ، فكان ينطق الحاء هاء ، يعبر عن الحمار « بالهمار » . وقد لج خصومه الشعراء في هجائه ، على نحو ما فعل خصوم أبي تمام متخذين من هذه الهجنة ذريعة لهم في تعييره . يقول المغيرة بن حبناء مشيراً إلى هذا :

الق العصابة يا زياد فانما اخزاك ربي اذا غدوت ترنم
تهجو الكرام وانت ألأم من مشى حسباً وانت العلج حين تكلم

ويقول ايضاً :

لئيماً ذميماً أعجمياً لسانه اذا نال دناً لم يبال المكارما [2]

وننظر في ديوان الشاعر مهيار الديلمي فنراه يرسل قصائده الى ممدوحيه ، ونرجح انه لم يكن يحسن الانشاد ولذلك كان يفضلها مرسلة مكتوبة اليهم .

وفي عصرنا هذا ، كان المرحوم امير الشعراء احمد شوقي ، لايحسن انشاد شعره ، وكان يبعث من ينوب عنه في انشاده ، وقد غمزه بعض خصومه ، على نحو ما غمز أبا تمام خصومه وعرضوا به في هذا .

عرض به المرحوم عباس محمود العقاد في نقده لمسرحية قمبيز . قال العقاد في آخر نقده للمسرحية بعنوان : (شوقي بين يدي قمبيز [3]) :

قمبيز لكاهنه سابور :

سابور من هذا القزم في جانب الهرم

سابور الكاهن :

مولاي هذا شاعر في مصر يغتاب الامم

---

(١) الموازنة ص ٥ .
(٢) كتاب الصناعتين ـ لابي هلال العسكري ص ٨ والاغاني ١٠/٣٨٠ .
(٣) انظر قمبيز في الميزان ، ص ٧٨ وما بعدها .

اضعف من صـــاغ مديحاً في القصيـــد أو شتم
وناطق اذا جـــرى حديثـه على القـــلم
لـكنه في صمتـــه ابله او فيه بـــكم

قبيز :

يا ويله ! جئني بـه اشفيه من داء البكم

هؤلاء الشعراء وأمثالهم كانوا لا يجدون بداً من ان يلجأوا الى المنشدين ـ ومن هنا اصبح الانشاد فناً آخر ، اختصت به طائفة اخرى ، راحت تسير جنباً الى جنب مع طائفة الشعراء .

الإنشاد حرفة :

بينا ان الغناء والإنشاد والشعر ، كانوا فناً واحداً او عملا واحداً يقوم به فرد ، وهو الشاعر . وكانت هذه الفنون الثلاثة ملهاة وتسلية للناس ، ثم اخذت تنفرد عن بعضها ، الواحد بعد الآخر . ويبدو لنا ان الغناء هو الذي انفرد او انفرط اولا وابتعد عن الشعر ، ذلك لأن المغني يحتاج الى قابلية خاصة تتعلق بالصوت اكثر من تعلقها بالخيال ، وبقي الانشاد والشعر متحدين ، ثم ما لبث المنشد ان اصبح شخصاً آخر قد يكون غير الشاعر وغـــير المغني . وهكذا اصبح الإنشاد حرفة مستقلة لها اهلها المتخصصون بها . ان المغني يحتـــاج الى الصوت وهو عماده ، وكـذلك امر المنشد . وان الصلة لوثيقـة بين الشعر والانشاد حتى لنجد الأوزان الشعرية ، عند الامم كلها لا تزيد مقاطع البيت الواحد منها على قدر معين ، وهو عند العرب ذلك القدر الذي نلحظه في البحور الشعرية غير القصيرة ، كالبحر الطويل والبحر البسيط والبحر الوافر . والمنشد في هذه البحور يحتاج الى استعادة النفس حين يبلغ نهاية البيت . وقد يحتاج لأن يستريح ويستعيد نفسه وهو ما يزال في وسط البيت وربما كان العرب ـ والجاهليون منهم خاصة ـ اطول من غيرهم نفساً في الإنشاد ، لـكثرة ما نجده في اشعارهم المنظومة على البحور الطويلة . والمنشد يحتاج الى ذاكرة قوية يختزن بها المقدار الهائل من الشعر ثم تـكون له القابلية على ادائه الأداء الحسن . وكما اتُخِـذ كلٌ من الغناء والشعر حرفة للعيش ، اتخِـذ الإنشاد ايضاً . وصارت حرفة الانشاد شائعـة بين اجيـال

شتى من الناس ، واصبح للرواة والمنشدين مكانة يحسدون عليها . ومن هنا تعلق بهذه الحرفة اناس لهم علمهم الواسع وذاكرتهم النّيرة . يحدثنا سقراط وافلاطون وغيرهما عن المنشدين الذين كانوا يتهافتون الى مجتمعات الناس في اثينا وغيرها من مدن اليونان ينشدون ما حفظوه ، من الياذة هوميروس وغيرها . وقيام هؤلاء المنشدين بين العامة والخاصة كان من لوازم كلّ احتفال وطني ، وعيد ديني وكانت تقام لهم في اثينا وساقس وتيوس واخمينا، وفي مدن اخرى غيرها اسواق خاصة يتبارون فيها بانشادهم وتعدّ لهم الجوائز الثمينة يحرزها المبّرز منهم، ويحرص عليها حرص الفائز على اكليل الغار بعد الانتصار [1] . وللفرس حلقات يُستمع فيها الى الإنشاد ، ونقل الكسندر شدزكو [2] : «ان حفّاظ العجم يتلون من شعر شعرائهم ما لا تكاد تصدّق ان الذاكرة تعيه لكثرته ، فقد يظل المنشد يتغنى باشعار الشاهنامة نهاراً كاملاً »وللقارىء ان يتصور كم من الأبيات يمكن ان تنشد في نهار ! .

وقد يجنح الواحد منهم الى التخصص في إنشاد شعر لشاعر بعينه ، او الى الإنشاد في موضوع معين [3] وتتضح لنا قدرة المنشدين على الإنشاد وعلى وفرة محفوظهم من الشعر اذا نظرنا الى ما اشار اليه هوميروس نفسه اذ انه انطق اوذيس في الاودسة بما يربو على الفين ومئتي بيت نفساً واحداً .

ويرى بعضهم ان هؤلاء المنشدين من اليونان كانوا ينتمون الى عشيرة خاصة : وان هذه الفئة قد جعلت الانشاد حرفتها التي يتوارثها الابناء عن الآباء . واذا كان هناك ما يبعث الى اعتقاد طائفة من نقاد الشعر العربي ، الى ان الشاعرية تختص بقبيلة حيناً ، وبسلالة حيناً ، وان الأب الشاعر قد يولد ابناً شاعراً ـ فاننا نستطيع ان نقول : ان الإنشاد ـ كما رآه البعض ـ [4] كان حرفة متوارثة شانها شان الشعر [5] .

(١) مقدمة الالياذة للبستاني ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) ALEXANDER CHODZKO .Specimens of The Popular poetry of persia , London 1842 p : 13 .

(٣) الالياذة ٣٥ ـ ٣٦

(٤) الماركسية والشعر ص ٤٦

(٥) انظر الوصف في شعر العراق ص ١١٩ وما بعدها للدكتور جميل سعيد طبعة «الهلال» ببغداد سنة ١٩٤٨ .

وفي مقدمة الإلياذة [1] ان الانشاد ، كان وما يزال مهنة العميان . قالوا : وهي تحبّبهم الى الناس وتجعل لهم مقاماً ذا نفع . وكان من شأن هؤلاء التنقل من بلد الى آخر ، فهم يطوفون في بلاد اليونان وجزرها ، وهمهم استظهار ما تسعه اذهانهم من الأشعار القديمة والحديثة . وقد يبلغ ما يحفظه الواحد منهم حدّ الغرابة فى كثرته . وحيثما يحلون يجتمع الناس اليهم فياخذون في الانشاد بما ناسب المقام . وهم في الغالب يؤثرون الانشاد بين عامة الناس ، لان العامة اكثر اقبالاً عليهم واقل تعنّتاً في انتقاء المواضيع . والمنشدون فئتان ، فئة تنشد محفوظها من شعر الشعراء ، وهى الفئة الكبرى . وفئة قليلة تنشد من محفوظها ومنظومها وهى ارفع منزلة واعلى جاهاً .

اما العرب فمنشدوهم على العكس من هؤلاء . ان الفئة التي تنشد شعرها الذي انشأته وحفظته هى الفئة الغالبة الكثيرة . اما الفئة التي تنشد شعر غيرها ـ وهى فئة الرواة والمنشدين الذين لا يقولون الشعر ـ فقليلة بالقياس الى تلك . ولا عجب في هذا اذا تصورنا ان العرب امة شاعرة ، حتى لقد ذهب ابن قتيبة الى ان العرب ـ كلّ العرب ـ يستطيعون ان ينظموا الشعر ولكن طائفة الشعراء هى تلك الطائفة التي اختصت بنظم الشعر وجعلت منه ديدنها وحرفتها . وذهب المعرّي فى « رسالة الغفران » الى قريب من رأى ابن قتيبة هذا ، فبين ان الشعر قرآن ابليس المارد .. وان ابليس اللاعين نفثه في اقليم العرب فتعلّمه رجال ونساء .

قال ابو العلاء على لسان ابن القارح في موقف الحشر : « وانصرفت بأملي الى خازن آخر يقال له زفر... فقلت: رحمك الله كنا في الدار الذاهبة نتقرب الى الرئيس والملك بالبيتين او الثلاثة فنجد عنده ما نحب ، وقد نظمت فيك ما لو جمع لكان ديوانا ، وكأنك ما سمعت لي زجمة ـ اي كلمة ـ فقال : ... احسب هذا الذي تجيئني به قرآن ابليس المارد ولا ينفق على الملائكة ، انما هو للجان وعلموه ولد آدم ... فمن اي الامم انت ؟ فقلت : من امة محمد بن

(١) مقدمة الالياذة ص ٣٦

عبدالله بن عبد المطلب فقال : صدقت ، ذلك نبيّ العرب . ومن تلك الجهة اتيتني بالقريض لأن ابليس اللعين نفثه في اقليم العرب فتعلمه نساء ورجال [1] » .

على ان العرب وان كان الشعراء ـ في الغالب ـ هم انفسهم المنشدون لاشعارهم ، فاننا لانعدم طائفة المنشدين المحترفين فيهم . والمنشدون طائفتان ايضاً ، احداهما تروى وتحفظ مقداراً كبيراً من الشعر وهي لاتختص بموضوع ولا بشاعر ولا بعصر ، ولعل خير من يمثل هذه الفئة حمّاد وقد شهر بكثرة حفظه حتى لُقّب « بالراوية » . وفي كتب الأدب من كثرة محفوظ هذا الراوية ما يدعو الى العجب ، وما لا يكاد يصدّق . يسأل الوليد بن يزيد الخليفة ، حماداً الراوية هذا : بم استحققت لقب الراوية هذا ؟ فيقول حمّاد : اني اروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين او سمعت به . قال : فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ! ولكني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة ، سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون الاسلام . قالوا : ثم امره بالانشاد ليمتحنه فانشد حتى ضجر الوليد ، فوكل به من يثق بصدقه فانشده الفين وتسع مائة قصيدة للجاهلية [2] .

هذا هو حماد الراوية ، على ان اكثر الرواة كان يختص بشاعر يحفظ شعره وينشده .

وكما أن الشعراء يجيد بعضهم في فنون الشعر عامة ، حتى تستوي عنده ، وقد يبرز فيها جميعاً ، وقد يجيد بعضهم في فن واحد منها ، كذلك كان الرواة والمنشدون .

يقول ابن سلام : قال اصحاب الاعشى : « هو اكثرهم عروضاً واذهبهم في فنون الشعر .. واكثرهم مدحا وهجاء ووصفاً كل ذلك عنده .. ». ويقول ابو عمرو بن العلاء عنه : « مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره [3] » وقال ابو الفرج عن الحطيئة : « وهو من فحول الشعراء .. متصرّف في جميع فنون الشعر ؛ من المديح والهجاء والفخر والنسيب .. مجيد في ذلك اجمع » [4] .

---

(١) الغفران ص ٢٠٦

(٢) انظر حماد الراوية في : « الاعلام » للزركلي ،

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٥٥ (٤) الاغاني ٢/١٥٧ .

وقال عن البحتري : « وله تصرف حسن في ضروب الشعر ، سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل »[1] . واذا كان هؤلاء ـ وعددهم ليس بالكثير ـ قد شهروا بضروب الشعر كافة فان الشعراء عادة يختص كل منهم بفن يجيده ، وقد لا يحسن في غيره احسانه فيه . كان جرير يقول : « النصراني انعتنا للخمر وامدحنا للملوك .. » ويقول الاخطل : « جرير انسبنا » . ويقول مروان بن حفصة [2] :

ذهب الفرزدق بالفخار وانما حلو القريض ومره لجرير

ومن هنا قالوا : « كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا كلب » [3] .

وكما كان هؤلاء الشعراء يختص كل منهم بضرب من الشعر يجيده ، كذلك كان الرواة المنشدون . إن الواحد منهم يتعلّق في الغالب بشاعر يحفظ شعره ، وينشده . وكما يحدثنا سقراط عن ايون انه اختص باشعار هوميروس [4] وانه لا يباريه في اجادته لها انسان ، وانه متعلّق بهوميروس حتى انه ليتوهّم انه لا يستطيع ، او لا يحسن إنشاد اشعار غيره ، بل انه ليحسّ باسترخاء ونعاس حين يستمع لغير شعر هوميروس واذا ما استمع الى شعر هوميروس تيقّظت نفسه واعتراه النشاط والاريحية في انشادها .

ان سقراط يحدثنا عن هذا ، وربما كان اكثر الرواة والمنشدين العرب متعلقين بشعرائهم على هذا النحو . كان عبيد راوية الفرزدق . وكان لجرير راوية اسمه الحسين ، وكان محمد بن سهل راوية الكميت [5] ، وكان ابو السائب بن حكيم راوية كثير عزة ، واليه يقول كثير :

سألت حكيما اين شطت بها النوى فخبّرني ما لا احب حكيم [6]

(١) الموازنة ص ٧ (٢) الشعر والشعراء ص ٢٨٧ . (٣) العمدة ١/٩٥ .

(٤) The Dialogues of Plato- Translated by B. JoWETT Fourth Edition P. 103

(٥) مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٣٨ .

(٦) الاغاني ١٢ / ١٨٩ .

ونقول : وكما يجيد الشاعر ضرباً من ضروب الشعر فيحسنه فكذلك المنشد ، انه قد يجيد ضرباً من الانشاد ، وقد تراه ليس شيئاً اذا هو حاد عنه الى غيره . كان استاذنا الجليل الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ـ المرحوم عبد الوهاب حمّودة ، ينشدنا اشعار البارودي الحماسية :

واني امرؤ لولا العوائق اذعنت لسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الغرّ الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجيـــة فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه تفزعت الافلاك والتفت الدهر

فتأخنا روعة الشعر بروعة الانشاد . واذكر اننا بعد ذلك درسنا البارودي الشاعر مع استاذنا الجليل المرحوم احمد امين ، وانه استشهد بابيات البارودي هذه ، فانشدها فلم نره يحمل الينا بانشاده ما كان يحمله الينا الاستاذ حموده من سحر وروعة .

على ان الاستاذ احمد امين كان ـ رحمه الله ـ يجيد ضرباً آخر من الانشاد ، هو انشاد ذلك الشعر الوجداني الحزين . ولم يكن بيننا من لا تأخذه روعة الانشاد ، وتغشاه سحابة من الحزن ، حين كنا نسمعه ينشد وكأنه يناجي نفسه .

اليس وعـــدتني يا قلب اني اذا ما تبت عن ليـلى تتـوب
فها انا تائب عن حب ليـــلى فما لك كلما ذكرت تذوب ! ؟

وكان من المنشدين من برع في الانشاد حتى وازى به الغناء اثراً ، يقول ابو الفرج [1] : «وكان انشاد محمد البيدق يطرب كما يطرب الغناء .» والبيدق هـــذا لقب لقب به لقصره . قالوا : وكان ينشد هارون اشعار المحدثين وكان احسن خلق الله انشاداً . ويحدث ابو بكر ابن دريد .. انهم استمعوا الى غلام من بني اسد ينشدهم شعر المرار :

سكنوا شُبيثا والأحصَّ واصبحوا نزلتْ منازلهم بنو ذُبيان
واذا يقال أُتيتُم لم يبرحـــوا حتى تقيم الخيلُ سوق طعان

قال : فكادت الارض تسوخ بي لحسن انشاده [2] .

(١) الاغاني ١٣ / ١٤٨ .
(٢) الامالي ١ / ٦٥ .